واجب العلماء

إعداد

محمد بن عمر بن سالم بازمول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، و نستعينه ، و نستغفره، ونعوذ بالله، من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَتَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ

يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوْا رَبَّكُمُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيْراً وَنِسَآءً وَاتَّقُوْا اللهَّ الَّذِيْ تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْباً

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً.

ألا وإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أمّا بعد: فهذه محاضرة وضعتها بعنوان (واجب العلماء)، قسمتها على ثلاثة مقاصد، وخاتمة، وهي التالية :

المقدمة: تحديد أولي الأمر، وأقسام العلماء.

المقصد الأول: تحديد أولي الأمر وأقسام العلماء

المقصد الثاني : صفة العَالِمِ

المقصد الثالث : أمور تلزم العلماء.

هذا وأسأل الله تعالى التوفيق والهدى والرشاد والسداد.

حياة العَالِمِ حياة العالَمِ.

يروى عن علي بن أبي طالب قال: "إذا مات العالم انثلمت في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة"[١].

وموت العالم؛ إما بقبضه وإما بهجره.

وهجره ؛ إمّا بتزهيد الناس فيه وترك الرجوع . وإمّا بتضييع العالم الحقوق التي عليه للناس.

قال ابن القيم رحمه الله: "لما كان قيام الإسلام بطائفتي العلماء والأمراء، وكان الناس كلهم لهم تبعا، كان صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين وفساده بفسادهما، كما قال عبد الله بن المبارك وغيره من السلف: صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس. قيل: من هم؟ قال: الملوك والعلماء. كما قال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء و رهبانها[٢]

وإذا كانت طاعة العلماء تبع لطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء؛ فإن معرفة العالم لما هو واجب عليه، هي معرفة الأمراء لما هو واجب عليه.

فحياة العالِمِ وصلاحه حياة العالَمِ وصلاحه! فإذا ضيع العالم ما يجب عليه، ضيع الأمراء ما يجب عليهم، فإذا ضيعت الأمراء فسد العالَمِ! **ومن أهم ما يحفظ حق العلماء عند الناس حفظ العلماء للحقوق التي عليهم.**

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١٩٩).

(٢) أعلام الموقعين (١/ ٨-١٠).

المقصد الأول

صفة العَالِمِ

بعض الناس يستهين بالعلم والعلماء؛ فلا يعرف قدر العلم و لا حق العلماء، يظن أن العلم هو تكثير الكلام، وتحسينه بالقصص والأشعار، والإكثار من الوعظ والرقائق.

ومن الناس من يتوهم أن العلماء هم هؤلاء الرؤوس الذين يخوضون في الأحداث، يتكلمون فيها بما يسمونه فقه الواقع، يفتئتون على الأمراء والحكام، بلا هدى أو بصيرة.

ومن الناس من صار العلم عنده هو مجرد ما في الكتب، فلم يلق بالاً إلى حقيقة أن هذا العلم نقل وفهم، والفهم محكوم بما عليه طريقة الرعيل الأول والطراز المكلل من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ فصار ينبز الاشتغال بالعلم، والجلوس في حلق العلم عند العلماء، وما درى أن من العلم أبواباً لا ينالها إلا بمشافهة العلماء والأخذ عنهم.

ومن الناس من العلم عنده هو السفر والانتقال لدعوة الناس بزعمه، ويقول: لسنا بحاجة إلى كتب جديدة، إنما نحن بحاجة إلى دعاة ودعوة، وما درى المسكين أن فاقد الشيء لا يعطيه، وكيف تتم له الدعوة إلى الدين و هو جاهل به، لم يثن الركب على دروس العلم، ولم يشام العلماء ولم يصحبهم، ولم يعط العلم بعضه و لا كله، فهو منه في جدب وقحط.

ومن الناس من لا يفرق بين العالم وبين القاص الواعظ، و لا بين طالب العلم والعالم، فالكل عنده علماء يستفتيهم ويأخذ عنهم، بل قد يرى أن الواعظ كثير الكلام كثير العلم، بل قد يراه بعضهم أعلى درجة من العالم لأن العالم قليل الكلام لا يجري في ذلك المضمار من القصص و الأشعار والتحليلات والأفكار، ولله في خلقه شؤون.

والمسلم بحاجة إلى معرفة صفة العالم، كما بيّنها الله عزوجل في القرآن العظيم، من خلال الآيات القرآنية، التي ذكرت مواقف للعلماء يتبين منها صفاتهم، وهي التالية:

١ـ رد المتشابه إلى المحكم من صفات الراسخين في العلم:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران:٧).

فالعالم من صفاته التي قررها القرآن أنه يرد المتشابه إلى المحكم و لا يتبع المتشابه، وهذه الصفة مما يميز أهل الحق والهداية عن أهل الهوى والضلال، وقد جاء في الحديث ذكر الزجر والتحذير من الذين يتبعون المتشابه، عن عائشة رضي الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من ثم ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾. قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم"[(١)].

٢ـ الخشوع والخضوع لأمر الله تعالى من صفات الذين أوتوا العلم :

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب منه آيات محكمات، رقم الحديث (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب العلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، الحديث رقم (٢٦٦٥).

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً. وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً. وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾ (الإسراء:١٠٧-١٠٩).

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر:٢٨).

والخشية لله صفة يورثها العلم به سبحانه وتعالى.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وأما العلم فيراد به في الأصل نوعان:

أحدهما : العلم به نفسه وبما هو متصف به من نعوت الجلال والإكرام وما دلت عليه أسماؤه الحسنى وهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة فإنه لا بد أن يعلم أن الله يثيب على طاعته ويعاقب على معصيته كما شهد به القرآن والعيان.

وهذا معنى قول أبي حيان التيمي - أحد أتباع التابعين - : "العلماء ثلاثة : عالم بالله ليس عالما بأمر الله. وعالم بأمر الله ليس عالما بالله وعالم بالله، وبأمر الله، فالعالم بالله الذي يخشى الله والعالم بأمر الله الذي يعرف الحلال والحرام".

وقال رجل للشعبي: أيها العالم فقال: "إنما العالم من يخشى الله".

وقال عبدالله بن مسعود: "كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا"[1].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص١٥، تحت رقم (٤٦)، وأحمد في الزهد ص١٩٧، والطبراني في الكبير (٩/ ٢١١-٢١٢، تحت رقم ٨٩٢٧)، والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان (٣/ ٣٤)، وفي المدخل إلى السنن الكبرى ص٣١٤، تحت رقم (٤٨٧)، كلهم من طريق القاسم بن عبدالرحمن عن ابن مسعود، قال في مجمع الزوائد (٥/ ٢١٠): "القاسم لم يدرك ابن مسعود"اهـ وأخرج نحوه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٣١) من طريق =

والنوع الثاني : يراد بالعلم بالله العلم بالأحكام الشرعية كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ترخص في شيء فبلغه أن أقواما تنزهوا عنه، فقال: "ما بال أقوام يتنزهون عن أشياء أترخص فيها والله إني لأعلمكم بالله وأخشاكم له"[1]. وفي رواية: "والله إني لأخشاكم لله وأعملكم بحدوده"، فجعل العلم به هو العلم بحدوده.

وقريب من ذلك قول بعض التابعين في صفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال: "إن كان الله في صدري لعظيما وإن كنت بذات الله لعليما"؛ أراد بذلك أحكام الله؛ فإن لفظ (الذات) في لغتهم لم يكن كلفظ (الذات) في اصطلاح المتأخرين بل يراد به ما يضاف إلى الله، كما قال خبيب رضي الله عنه:

وذلك في ذات الإله وإن يشأ # يبارك على أوصال شلو ممزع

ومنه الحديث: "لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات كلها في ذات الله"[2]، ومنه قوله

=

عون عن ابن مسعود ولفظه: "ليس العلم من كثرة الحديث، ولكن العلم من الخشية"، قال في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٣٥): "وإسناده جيد، إلا أن عوناً لم يدرك ابن مسعود"اهـ

وأخرجه الدارمي (١/ ٣٤٦، تحت رقم ٣٢٢)، بلفظ: "كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه"، وصحح إسناده عن مسروق محقق الدارمي.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب من لم يواجه الناس بالعتاب، حديث رقم (٦١٠١)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى، حديث رقم (٢٣٥٦)، ولفظ مسلم: "عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرًا فَتَرَخَّصَ فِيهِ فَبَلَغَ ذَلِكَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَكَأَنَّهُمْ كَرِهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: مَا بَالُ رِجَالٍ بَلَغَهُمْ عَنِّي أَمْرٌ تَرَخَّصْتُ فِيهِ فَكَرِهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً".

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾، حديث رقم

=

تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَّ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾(الأنفال: من الآية١)، ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الحديد: من الآية٦) ونحو ذلك، فإن (ذات) تأنيث (ذو) وهو يستعمل مضافا يتوصل به إلى الوصف بالأجناس، فإذا كان الموصوف مذكرا قيل: ذو كذا، وإن كان مؤنثا قيل: ذات كذا، كما يقال: ذات سوار. فإن قيل: أصيب فلان في ذات الله فالمعنى في جهته ووجهته أي فيما أمر به وأحبه ولأجله"اهـ[١].

عن مسعر قال سمعت عبد الأعلى التيمي يقول: من أوتي من العلم مالا يبكيه لخليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه لأن الله تعالى نعت العلماء ثم قرأ القرآن: ﴿إن الذين أوتوا العلم﴾ إلى قوله: ﴿ يبكون﴾ (الإسراء:١٠٧-١٠٩)[٢].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللهَّ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الحج:٥٤).

٣- من صفات العالم زهده وتقلله من الدنيا ونذارته لقومه :

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهَّ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (القصص:٨٠).

=

(٣٣٥٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٢٣٧١).

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٣٣).

(٢) أخرجه الدارمي (٢٩٩)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٥٤٢)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٨٨). وقال محقق سنن الدارمي: "إسناده جيد"اهـ

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة:١٢٢).

عن عمران المنقري قال: قلت للحسن يوما في شيء قاله: يا أبا سعيد ليس هكذا يقول الفقهاء! فقال: ويحك ورأيت أنت فقيها قط! إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بأمر دينه المداوم على عبادة ربه"[١].

٤ـ ومن صفاتهم أن علمهم في صدورهم آيات بينات، فهم على بصيرة من دينهم:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٩).

فعلمهم قال الله قال رسوله قال الصحابة.

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأي سفيه
كلا و لا نصب الخلاف جهالة ... بين النصوص وبين رأي فقيه
كلا ولا ردّ النصوص تعمداً ... حذراً من التجسيم و التشبيه

ولذا وصفهم الله بأنهم أهل الذكر وأمر بالرجوع إليهم حال السؤال عما لا نعلم، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء:٧).

فعلمهم ليس بتطويل العبارة وفصاحتها، و لا بكثرة الكلام، و لا بكثرة الرواية.

---

(١) أخرجه الدارمي (٣٠٢)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٤٩٨)، وأبونعيم في الحلية (٢/ ١٤٧)، ونعيم بن حماد في زياداته على الزهد لابن المبارك (٣٠)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٠٦٦ـ١٠٦٧). وقال محقق سنن الدارمي: "إسناده صحيح"اهـ.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنْ الْإِيمَانِ وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنْ النِّفَاقِ"(١).

قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي رحمه الله: "وَالْعِيُّ قِلَّةُ الْكَلَامِ وَالْبَذَاءُ هُوَ الْفُحْشُ فِي الْكَلَامِ، وَالْبَيَانُ هُوَ كَثْرَةُ الْكَلَامِ مِثْلُ هَؤُلَاءِ الْخُطَبَاءِ الَّذِينَ يَخْطُبُونَ فَيُوَسِّعُونَ فِي الْكَلَامِ وَيَتَفَصَّحُونَ فِيهِ مِنْ مَدْحِ النَّاسِ فِيمَا لَا يُرْضِي اللهَ"اهـ(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (الرسالة ٣٦/ ٦٤٩، حديث رقم ٢٢٣١٢)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في العي، حديث رقم (٢٠٢٧). قال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي غَسَّانَ مُحَمَّدِ بْنِ مُطَرِّفٍ"اهـ، والسند رجاله ثقات، وفيه انقطاع إذ حسان بن عطيه راويه عن أبي أمامة لم يسمع منه، كما حرر ذلك محققو المسند، فقد ضعفوا الحديث بتمامه، لكن للمتن شاهد بتمامه عند الدارمي في سننه (١/ ٤٤١، تحت رقم ٥٢٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٤)، وصحح إسناده محقق سنن الدارمي، وبه يرتقي الحديث إلى الحسن لغيره، وقد صحح الألباني إسناده في سنن الترمذي (٢/ ١٩٩)، والله اعلم. ولفظ الدارمي: "عن عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: حَدَّثَنِي فُلَانٌ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَعَرَفَهُ عُمَرُ - قُلْتُ: حَدَّثَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْعَفَافَ وَالْعِيَّ عِيَّ اللِّسَانِ لَا عِيَّ الْقَلْبِ وَالْفِقْهَ مِنْ الْإِيمَانِ وَهُنَّ مِمَّا يَزِدْنَ فِي الْآخِرَةِ وَيُنْقِصْنَ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا يَزِدْنَ فِي الْآخِرَةِ أَكْثَرُ وَإِنَّ الْبَذَاءَ وَالْجَفَاءَ وَالشُّحَّ مِنْ النِّفَاقِ وَهُنَّ مِمَّا يَزِدْنَ فِي الدُّنْيَا وَيُنْقِصْنَ فِي الْآخِرَةِ وَمَا يُنْقِصْنَ فِي الْآخِرَةِ أَكْثَرُ". ثم قال الدارمي : "أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ قَالَ: قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: خَرَجَ عَلَيْنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ وَمَعَهُ قِرْطَاسٌ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا لِصَلَاةِ الْعَصْرِ وَهُوَ مَعَهُ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا هَذَا الْكِتَابُ قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَدَّثَنِي بِهِ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فَأَعْجَبَنِي فَكَتَبْتُهُ فَإِذَا فِيهِ هَذَا الْحَدِيثُ". وقد ذكره أبونعيم في الحلية (٤/ ٢٤٨)، وجعله من كلام عون، وساقه في الحلية (٣/ ١٢٥) من طريق إياس بن معاوية بن قرة عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ، وجعل قصة عمر بن عبدالعزيز مع إياس بن قرة، وإسناده ضعيف.

(٢) سنن الترمذي كتاب البر والصلة، باب ما جاء في العي.

عن الحسن البصري رحمه الله قال: "لقد أدركت أقواماً إن كان الرجل منهم ليجلس مع القوم، فيرون أنه عيي، وما به من عي، إنه لفقيه مسلم"[١].

قلت: فهذا كان حالهم رضي الله عنهم وأرضاهم، وإنما أسكتتهم الخشية لله، وكراهتهم للشهرة، وإنما علمهم في صدورهم آيات بينات.

وقد روي عن بعض السلف قوله: "ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العالم من اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم"[٢].

عن ابن وهب قال: سمعت مالك بن أنس يقول: "ليس العلم بكثرة الرواية ولكنه نور يجعله الله في القلوب"[٣].

معناه أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية وإنما العلم الذي فرض الله عز وجل أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من أئمة المسلمين فهذا لا يدرك إلا بالرواية ويكون تأويل قوله: "نور" يريد به فهم العلم ومعرفة معانيه[٤].

عن عون بن عبدالله عن ابن مسعود قال: "ليس العلم من كثرة الحديث، ولكن العلم

---

(١) أخرجه وكيع في كتاب الزهد (١/ ٣٠٧، تحت رقم ٨٠)، وأبوخيثمة في كتاب العلم ص١٠، تحت رقم (٢٠)، وأحمد بن حنبل في الزهد ص٣٢٠. وقال محقق الزهد لوكيع: "رجاله ثقات وإسناده متصل"اهـ قلت: فهو صحيح الإسناد.

(٢) الجامع لشعب الإيمان (٤/ ٤٣٣، تحت رقم ١٦٨٤)، اقتضاء العلم العمل للخطيب (٢٤) مما يروى عن إبراهيم الخواص.

(٣) المحدث الفاصل ص ٥٥٨، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٧٤).

(٤) انظر تفسير ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر:٢٨).

من الخشية"[١].

عن يحيى بن معين وسئل أيفتي الرجل من مائة ألف حديث؟ قال: لا . قلت: ومن مائتي ألف؟ قال: لا . قلت: ثلاثمائة؟ قال: لا . قلت: خمس مائة ألف. قال: أرجو وليس يكفيه إذا نصب نفسه للفتيا أن يجمع في الكتب ما ذكره يحيى دون معرفته به ونظره فيه وإتقانه له فإن العلم هو الفهم والدراية وليس بالإكثار والتوسع في الرواية"اهـ[٢].

قال قوام السنة الأصبهاني رحمه الله: "وينبغي للمرء أن يحذر محدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة. والسنة إنما هي التصديق لآثار رسول الله ﷺ وترك معارضتها بـ كيف، ولِمَ.

والكلام والخصومات في الدين والجدال؛ محدث، وهو يوقع الشك في القلوب، ويمنع من معرفة الحق، الصواب.

وليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو الاتباع والاستعمال؛ يقتدي بالصحابة والتابعين، وإن كان قليل العلم. ومن خالف الصحابة والتابعين فهو ضال، وإن كان كثير العلم"اهـ[٣].

وقال الذهبي رحمه الله: "العلم ليس هو بكثرة الرواية ولكنه نور يقذفه الله في القلب

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٠٥، تحت رقم ٨٥٣٤)، وأبونعيم في الحلية (١/ ١٣١)، وقال في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٣٥): "إسناده جيد، إلا أن عونا لم يدرك ابن مسعود"اهـ. وسبق عن ابن مسعود: "كفى بخشية الله علما".

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ج: ٢ ص: ١٧٤.

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٣٧-٤٣٨).

وشرطه الاتباع والفرار من الهوى والابتداع وفقنا الله وإياكم لطاعته"اهـ[١].

قال ابن رجب رحمه الله: "وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا، وظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك. وهذا جهل محض وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وزيد بن ثابت كيف كانوا؟ كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه. وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة والصحابة أعلم منهم. وكذلك تابعوا التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين، والتابعون أعلم منهم. فليس العلم بكثرة الرواية و لا بكثرة المقال، ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق، ويميز به بينه وبين الباطل، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد. وقد كان صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصاراً"اهـ[٢].

٥ـ ومن صفاتهم: أنهم يرون أن الحق والهداية في اتباع ما أنزل من الله تعالى:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (سبأ:٦).

فلا يتبعون الرأي، و لا يتخذونه أصلاً لهم.

وهؤلاء هم الجهال الذين عناهم الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فيما جاء عن عَبْدَ اللهِّ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنّ اللهّ لاَ

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٢٣).

(٢) فضل علم السلف على علم الخلف ص٦٢ـ٦٣.

يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ النّاسِ. وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ. حَتّىَ إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِماً، اتَّخَذَ النّاسُ رؤوسا جُهّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ. فَضَلّوا وَأَضَلّوا»[١].

ففي هذا الحديث تحذير منهم ومن اتخاذهم مرجعاً للسؤال والفتوى والحكم في النوازل!

ومن صور الرأي اتخاذ التحليلات الصحفية وتتبع الأخبار في المجلات وجعلها أساساً في نصح العامة ووعظهم وإرشادهم، ومن اتباع الرأي حرص بعضهم على تواجده أثناء الأحداث بتعليق أو خطبة أو محاضرة، وهذا كله رأي محض، والذين أوتوا العلم يعلمون أن ما أنزل الله عزوجل هو الحق وأنه يهدي إلى صراط العزيز الحميد؛ فمن صفات العلماء تركهم للتقليد، فإن المقلد يأخذ بقول غيره دون حجة. وهو غير المتبع؛ فإن الاتباع أخذ بقول من أوجب عليك الدليل اتباع قوله[٢]. والعلم ما تبين واستيقن، والمقلد لا يعلم حجة فلا علم عنده.

فإن قيل : هل معنى هذا أن المقلد ليس بعالم؟

فالجواب: نعم المقلد ليس بعالم، وقد نقل بعض أهل العلم الإجماع على ذلك؛ لكن هنا تفصيل لابد من الانتباه له:

الموصوفون بالعلم عند عامة الناس على أقسام :

القسم الأول : الذي درس المذهب والتزمه دون اعتبار للدليل الموافق أو المخالف، فالأصل عنده هو المذهب، وكل آية أو حديث تخالف المذهب فهي إمّا منسوخة أو مؤولة،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب كيف يقبض العلم، حديث رقم (١٠٠)، ومسلم في كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن، حديث رقم (٢٦٧٣).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٧).

يتعصب للمذهب تعصباً شديداً.

فهؤلاء هم المقلدة الذين يعنيهم أهل العلم بنزع صفة العلم عنهم!

القسم الثاني : الذي يدرس المذهب ويلتزمه مع اعتبار الدليل، وهم نوعان:

النوع الأول : من يقلد المذهب ابتداء فإن وجد الدليل على خلافه أخذ بالدليل.

وهذا بدأ مقلداً وانتهى متبعاً.

النوع الثاني: من اتبع المذهب بالدليل ابتداء، يدرس المسألة مع دليلها، ويأخذ بها اتباعا، فإن تبين له الدليل على خلاف المذهب أخذ بالدليل.

فهذا حقيقة أمره أنه متبع وليس بمقلد.

القسم الثالث : من أخذ بالدليل ابتداء، مع نظره ودرسه في أصول مذهب معين أو في المذاهب وأصولها ونظره في أدلتها، وهو إن نسب إلى مذهب إنما ينسب إليه باعتبار أن أكثر دراسته وأصحابه على هذا المذهب، و لأنه إذا لم يقف في المسألة على دليل اتبع دليل المذهب الذي عليه أصحابه.

فهذا هو المجتهد المقيد والمطلق، بحسب حاله في نظره واجتهاده.

فتأمل هذه الأقسام الثلاثة ومدى انطباقها على ما جاء ذكره في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم لما ذكر مثل ما بعثه به من الهدى والعلم.

عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي

دِينِ اللهَّ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُّ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهَّ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ"(١).

٦ـ أنهم يعقلون الأمثال التي يضربها الله في القرآن الكريم:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٣).

٧ـ أنهم أهل الاستنباط والفهم:

قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهَّ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (النساء:٨٣).

وقال أبو حاتم الرازي رحمه الله: "العلم عندنا ما كان عن الله تعالى من كتاب ناطق ناسخ غير منسوخ وما صحت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا معارض له وما جاء عن الألباء من الصحابة ما اتفقوا عليه فإذا اختلفوا لم يخرج من اختلافهم فإذا خفي ذلك ولم يفهم فعن التابعين فإذا لم يوجد عن التابعين فعن أئمة الهدى من أتباعهم مثل أيوب السختياني وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وسفيان ومالك والأوزاعي والحسن بن صالح ثم ما لم يوجد عن أمثالهم فعن مثل عبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن إدريس ويحيى بن آدم وابن عيينة ووكيع بن الجراح ومن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب فضل من علم وعمل، حديث رقم (٧٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٤٢٣٢). وعقبه عند البخاري: " قَالَ أَبُو عَبْد اللهَّ قَالَ إِسْحَاقُ: "وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَيَّلَتْ الْمَاءَ": قَاعٌ يَعْلُوهُ الْمَاءُ. وَ"الصَّفْصَفُ": الْمُسْتَوِي مِنْ الْأَرْضِ"اهـ

بعدهم محمد بن إدريس الشافعي ويزيد بن هارون والحميدي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي وأبي عبيد القاسم ابن سلام" انتهى

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله معقباً على كلام أبي حاتم: "فهذا طريق أهل العلم وأئمة الدين جعل أقوال هؤلاء بدلا عن الكتاب والسنة وأقوال الصحابة بمنزلة التيمم إنما يصار إليه عند عدم الماء فعدل هؤلاء المتأخرون المقلدون إلى التيمم والماء بين أظهرهم أسهل من التيمم بكثير"اهـ[١] .

فإن قيل: أهل الرأي يستنبطون فكيف يكون هذا من صفة العلماء ؟

فالجواب: الاستنباط المعتبر صفةً للعالم هو القائم على أصول أهل العلم، المستمد من القرآن العظيم والسنة المطهرة على ضوء فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وأصحاب الرأي تختلف أصولهم في النظر والاستنباط عن هذه الجادة، فهم ينتزعون استنباطهم من القرآن العظيم والسنة النبوية على أساس اللغة، ومنهم من ينتزعها على أساس اللغة والعقل، ومنهم من ينتزعها من القرآن والسنة على أساس الإشارات والإشراقات القلبية بزعمهم، ومنهم من ينتزعها على أساس فقه آل البيت دون غيرهم؛ فهذا استنباط على غير الجادة، والاستنباط المعتبر أصحابه من العلماء ما كان انتزاعه من الكتاب والسنة على ضوء فهم السلف.

فهم أهل الاستنباط عند نزول النوازل وعند الفتن والحوادث، يعرفون الفتنة إذا أقبلت، أمّا إذا أدبرت فإنه يعرفها أي أحد.

---

(١) أعلام الموقعين (٢/ ٢٤٨).

عن زريك عن أبي السليل: "أتيت صلة بن أشيم فقلت: يا صلة علمني مما علمك الله. قال: أنت اليوم مثلي أو نحوي يوم أتيت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. قلت: علمني مما علمك الله. قال: انصح للقرآن والمسلمين وارغب في دعاء الله ما استطعت ولا تكن قتيل العصا قتيل آل فلان وآل فلان وإياك وقوما يقولون: نحن المؤمنون وليسوا من الإيمان في شيء وهم الحرورية"

قال زريك فسمعت الحسن يقول: "الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم وإذا أدبرت عرفها كل جاهل"[١].

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٧/ ١٦٦)، والبخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٣٢١)، وأبونعيم في الحلية (٩/ ٢٤).

المقصد الثاني

أمور تلزم العلماء

للعلماء فضائل كثيرة وردت في القرآن العظيم والسنة النبوية، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر:٩).

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: "ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ"(١).

قال الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ: "عَالِمٌ عَامِلٌ مُعَلِّمٌ يُدْعَى كَبِيرًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ"(٢).

هؤلاء العلماء كما لهم على الناس حقوق، يجب أن يعرف المسلم لهم حقهم فيها، فليس منا من لم يعرف لعالمنا حقه، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا"(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم (٢٦٨٦)، وأخرجه الدارمي في مقدمة سننه (١/ ٣٣٤)، حديث رقم (٣٩٧) مرسلاً عن مكحول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه، وعن أبي أمامة أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٧٨، تحت رقم ٧٩١١)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب صحيح"، وأشار إلى حسنه محقق سنن الدارمي.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب العلم باب فضل الفقه على العبادة.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (الرسالة ١١/ ٦٤٤، تحت رقم ٧٠٧٣)، وأبوداود في كتاب الأدب باب في الرحمة، حديث رقم (٤٢٩٢). وصححه محققو المسند.

وكذا على العلماء حقوق وواجبات تتمثل في الأمور التالية:

١) أن يبلغ الناس السنة، ويعلمهم ما ينفعهم، و لا يتركهم بحيث يقعون في الضلال، وليحتسب فإن الله لا يضيع أجره.

جاء عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ اللهَّ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"(١).

ومحل الشاهد فيه هنا قوله: " فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"، فانظر كيف حكم عليهم بالضلال والإضلال، وذاك لغياب المرجعية العلمية!

وغياب المرجعية، من أخطر ما يكون على الناس، فإن العالم إذا ض يع الذي عليه، وترك الناس تقودهم أئمة الضلال، فيتخبطون في ظلام الجهل، ويختل نظام الحياة؛ فإن العلماء هم الذين يسوسون العباد والبلاد والممالك فموتهم حقيقة أو حكماً فساد لنظام العالم، فما يعود للناس مرجع يرجعون إليه عند نزول النوازل وحدوث الحوادث، فيقعون في هرج ومرج، إلا أن يشاء الله. وهذا ما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ"(٢).

---

(١) حديث صحيح. سبق تخريجه قريباً.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب ما قيل في الزلازل والآيات حديث رقم (١٠٣٦)، واللفظ له، ومسلم في =

فانظر كيف جاءت هذه الأشراط متتابعة!

٢) أن يعلم أنه إنما نال ما نال لما صبر واتقى، فبالصبر والتقوى كانت الإمامة في الدين، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة:٢٤).

وهذا مما مر الله به نبيه ﷺ فقال تبارك وتعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: من الآية٣٥). والعلماء هم من أول الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فيصبر على ما يجده من الناس في ذلك، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (يونس:١٠٩)، ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل:١٢٧)، ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان:١٧) .

قال ابن تيمية رحمه الله : "جعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله في السجدة: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ فإن الدين كله علم بالحق وعمل به فالعمل به لا بد فيه من الصبر بل وطلب علمه يحتاج إلى الصبر. كما قال معاذ بن جبل: " عليكم بالعلم؛

فإن طلبه لله عبادة. ومعرفته خشية. والبحث عنه جهاد. وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة. ومذاكرته تسبيح. به يعرف الله ويعبد. به يمجد ويوحد. يرفع الله بالعلم أقوما يجعلهم للناس قادة وأئمة يهتدون بهم وينتهون إلى رأيهم"[1]؛

=

كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه، حديث رقم (١٥٧).

(١) علقه الآجري رحمه الله في كتابه أخلاق العلماء ص٣٤، وصدره بقوله: "روي عن معاذ بن جبل رضي الله

=

فجعل البحث عن العلم من الجهاد، ولا بد في الجهاد من الصبر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر:١ـ٣)، وقال تعالى في ص: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (صّ:٤٥)، فالعلم النافع هو أصل الهدى والعمل بالحق هو الرشاد وضد الأول هو الضلال وضد الثاني هو الغي؛

فالضلال العمل بغير علم.

والغي اتباع الهوى. قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (النجم:١ـ٢)، فلا ينال الهدى إلا بالعلم، ولا ينال الرشاد إلا بالصبر؛ ولهذا قال علي: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا انقطع الرأس بان الجسد ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له[1]"[2].

وقال رحمه الله: "وكلام الإمام أحمد في هذا الباب جار على كلام من تقدم من أئمة الهدى

=

عنه"اهـ، وأسنده عن معاذ في حلية الأولياء (١/ ٢٣٩) في سياق طويل، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٥)، بسند من طريق أبي عصمة عن رجل سماه عن رجاء"، وهذا أثر سنده سند موضوع فيه أبو عصمة نوح بن أبي مريم كذاب، والرجل مبهم. ورواه ابن عبدالبر في جامع بين العلم وفضله (١/ ٥٤) "عن معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"، في سياق طويل، وقال: "هو حديث حسن جداً، ولكن ليس له إسناد قوي"اهـ، قلت: في السند عبدالرحيم بن زيد العمي عن أبيه، وعبد الرحيم متروك، ووالده ضعيف كما في التقريب لابن حجر، فالسند ضعيف جداً. فالحديث لا يصح موقوفاً و لا مرفوعاً، والله الموفق.

(١) أخرجه أبونعيم في الحلية (١/ ٧٥ـ٧٦) وفي السند ثابت بن أبي صفية ضعيف رافضي. كما في التقريب.

(٢) التحفة العراقية في الأعمال القلبية ص ٣٥٤ـ٣٥٦.

ليس له قول ابتدعه ولكن أظهر السنة وبينها وذب عنها وبين حال مخالفيها وجاهد عليها وصبر على الأذى فيها لما أظهرت الأهواء والبدع وقد قال الله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون فالصبر واليقين بهما تنال الإمامة في الدين فلما قام بذلك قرنت باسمه من الإمامة في السنة ما شهر به وصار متبوعا لمن بعده كما كان تابعا لمن قبله وإلا فالسنة هي ما تلقاه الصحابة عن رسول الله وتلقاه عنهم التابعون ثم تابعوهم إلى يوم القيامة وإن كان بعض الأئمة بها أعلم وعليها أصبر والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم والله أعلم"اهـ[1].

٣) أن يحرص على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهَّ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(النساء:٥٩).

وأولي الأمر هم الأمراء والعلماء.

فعلى العلماء أن يحرصوا على لزوم السنة والاهتداء بها ودعوة الناس إليها، فلا أحزاب و لا عرض زائل و لا مناصب تؤثر عليهم في ذلك.

قال سفيان: "كان يقال اتقوا فتنة العابد الجاهل والعالم الفاجر فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون"[2].

قال ابن تيمية رحمه الله: "وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الَّذِي يَعْرِفُ الْحَقَّ وَلَا يَتَّبِعُهُ غَاوٍ يُشْبِهُ الْيَهُودَ ؛ وَأَنَّ

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٨).

(٢) الجرح والتعديل (١/ ٩١-٩٢).

الَّذِي يَعْبُدُ اللهَّ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ وَشَرْعٍ : هُوَ ضَالٌّ يُشْبِهُ النَّصَارَى ؛ كَمَا كَانَ يَقُولُ مَنْ يَقُولُ مِنْ السَّلَفِ : مَنْ فَسَدَ مِنْ الْعُلَمَاءِ فَفِيهِ شُبَهٌ مِنْ الْيَهُودِ ؛ وَمَنْ فَسَدَ مِنْ الْعِبَادِ فَفِيهِ شُبَهٌ مِنْ النَّصَارَى . فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْ هَذَيْنِ الشَّبَهَيْنِ الْفَاسِدَيْنِ ؛ مِنْ حَالِ قَوْمٍ فِيهِمْ اسْتِكْبَارٌ وَقَسْوَةٌ عَنْ الْعِبَادَةِ وَالتَّأَلُّهِ ؛ وَقَدْ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ وَحَظًّا مِنْ الْعِلْمِ ؛ وَقَوْمٌ فِيهِمْ عِبَادَةٌ وَتَأَلُّهٌ بِإِشْرَاكٍ بِاَللهَّ وَضَلَالٍ عَنْ سَبِيلِ اللهَّ وَوَحْيِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدْ جَعَلَ فِي قُلُوبِهِمْ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا وَهَذَا كَثِيرٌ مُنْتَشِرٌ فِي النَّاسِ"اهـ[1].

٤) أن يعلم أن الرد إليهم عند نزول النوازل لما خصّهم الله به من القدرة على الاستنباط:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهَّ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (النساء:٨٣).

فلا بد من الاستعداد لذلك إذا ما جاءهم الناس يسألونهم عنه.

وليعلم أن بيان أحكام النوازل من أهم ما على العلماء القيام به، وفيه يكون فقه الواقع بالمعنى الذي قرره العلماء، لا بمعنى الرجوع إلى التحليلات الصحفية والتعليقات السياسية، وكأن العالم دوره التحليلات والتعليقات .

فهم أهل الاستنباط عند نزول النوازل وعند الفتن والحوادث، يعرفون الفتنة إذا أقبلت، أمّا إذا أدبرت فإنه يعرفها أي أحد.

عن زريك عن أبي السليل: "أتيت صلة بن أشيم فقلت: يا صلة علمني مما علمك الله.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٣ – ٦٣٤).

قال: أنت اليوم مثلي أو نحوي يوم أتيت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. قلت: علمني مما علمك الله. قال: انصح للقرآن والمسلمين وارغب في دعاء الله ما استطعت ولا تكن قتيل العصا قتيل آل فلان وآل فلان وإياك وقوما يقولون: نحن المؤمنون وليسوا من الإيمان في شيء وهم الحرورية"

قال زريك فسمعت الحسن يقول: "الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم وإذا أدبرت عرفها كل جاهل"(١).

٥) **أن يعلم عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه، فالعلماء ورثة الأنبياء، والموقعين عن الله تعالى.** عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة والملائكة تضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وأورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"(٢).

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٧/ ١٦٦)، والبخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٣٢١)، وأبونعيم في الحلية (٩/ ٢٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٩٦)، والدارمي (١/ ٣٦١، حديث رقم ٣٥٤)، الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم (٢٦٨٢)، وأبوداود في كتاب العلم باب الحث على طلب العلم، حديث رقم (٣٦٤١)، وابن ماجه في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم ٢٢٣)، وابن حبان في صحيحه (الإحسان ١/ ٢٨٩، تحت رقم ٨٨)، واللفظ له. قال الترمذي عقبه: "وَإِنَّمَا يُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عَاصِمِ بْنِ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ جَمِيلٍ عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ مَحْمُودِ بْنِ خِدَاشٍ وَرَأْيُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَعِيلَ هَذَا أَصَحُّ"اهـ، وداود بن جميل ضعيف وكثير بن قيس ضعيف كما في التقريب، لكن ساقه أبوداود من طريق آخر، فقال: "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ

=

قال أبو حاتم ابن حبان رضي الله عنه: " في هذا الحديث بيان واضح أن العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا هم الذين يعلمون علم النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره من سائر العلوم ألا تراه يقول العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا إلا العلم وعلم نبينا صلى الله عليه وسلم سنته فمن تعرى عن معرفتها لم يكن من ورثة الأنبياء"اهـ(١).

فالعلماء ورثوا العلم فبه يسوسون العباد والبلاد والممالك فتضيعهم للواجب عليهم فساد لنظام العالم.

٦) **أن يحرص على لزوم سنته ﷺ واتباعها، فبها تكون النجاة،** قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: "خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: هَذَا

=

الْوَزِيرِ الدِّمَشْقِيُّ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ قَالَ لَقِيتُ شَبِيبَ بْنَ شَيْبَةَ فَحَدَّثَنِي بِهِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي سَوْدَةَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ يَعْنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَعْنَاهُ"اهـ قلت: شبيب بن شيبة صدوق يهم في الحديث، كما في التقريب، ولم يُعد هذا في أوهامه، وتوبع كما رأيت في السند متابعة قاصرة في الصحابي، تابعه داود بن جميل، وللحديث شواهد منها حديث أبي أمامة وسيأتي قريباً، وأورد البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل، منه قوله: "إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وأورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر". ولم يفصح البخاري بكونه حديثاً فلهذا لا يعد في تعاليقه، لكن إيراده له يشعر بأن له أصلاً، وصححه كما رأيت ابن حبان، وقال ابن حجر في فتح الباري (١/ ١٦٠): "أخرجه أبوداود والترمذي وابن حبان والحاكم مصححاً، من حديث أبي الدرداء، وحسنه حمزة الكناني، وضعفه عندهم سنده، لكن له شواهد يتقوى بها"اهـ وحسنه بشواهده محقق الإحسان.

(١) الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان (١/ ٢٩٥، تحت رقم ٨٨).

سَبِيلُ اللهِ ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: هَـذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾"[1].

فالعالم إذا أضاع السنة أضاع من اتبعه من الخلق، و خرج إلى سبيل الشيطان، ففارق الصراط المستقيم الذي عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه.

٧) أن يحرص أن يكون عالما بالله عالماً بأمره.

قال علي بن خشرم: سمعت ابن عيينة يقول: قال بعض الفقهاء: كان يقال العلماء ثلاثة: عالم بالله. عالم بأمر الله . عالم بالله وبأمر الله

وأما العالم بأمر الله فهو الذي يعلم السنة ولا يخاف الله. وأما العالم بالله فهو الذي يخاف الله ولا يعلم السنة. وأما العالم بالله وبأمر الله فهو الذي يعلم السنة ويخاف الله فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماوات"[2] .

وعن سفيان قال : "كان يقال العلماء ثلاثة: عالم بالله يخشى الله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بالله عالم بأمر الله يخشى الله فذاك العالم الكامل، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله لا

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده ص٣٣، تحت رقم (٢٤٤)، وأحمد في المسند (١/ ٤٣٥)، والدارمي في السنن (١/ ٢٨٥، تحت رقم ٢٠٨)، وابن حبان في صحيحه (الإحسان ١/ ١٨١، تحت رقم ٧)، والحاكم (علوش ٢/ ٦١٧، تحت رقم ٢٩٩٢، ٣/ ٤٦-٤٧، تحت رقم ٣٢٩٤). والحديث صححه ابن حبان والحاكم، وحسنه محقق الإحسان، ومحقق سنن الدارمي.

(٢) حلية الأولياء (٧/ ٢٨٠)، شعب الإيمان (٤/ ٤٧٧، تحت رقم ١٧٧٤).

يخشى الله فذلك العالم الفاجر"[١].

٨) أن يحرص على تعليم الناس وتبليغ العلم لينال الأجر الجزيل والفضل الكبير من الله تعالى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"[٢].

والحديث يدل على أن عمل العالم والثواب عليه لا ينقطع بمجرد موته مادام الناس ينتفعون بعلمه، وهذا يشمل ما خلفه من تعليم علمه للناس، وما خلفه من تصانيف ينتفع بها الناس، ويشمل في زماننا ما في حكم التصانيف من دروس وفتاوى مسجلة.

وبوّب البخاري في صحيحه في كتاب العلم : "بَاب كَيْفَ يُقْبَضُ الْعِلْمُ وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاكْتُبْهُ فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ وَلَا تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلْتُفْشُوا الْعِلْمَ وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا"اهـ.

وقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا" أي خفية، أراد به كتمان العلم[٣]. فلا بد أن يعرف الناس العالم، ويجلس للناس يعلمهم، ويجلس الناس إليه لينتفعوا بعلمه: "وَلْتُفْشُوا الْعِلْمَ وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا

---

(١) سنن الدارمي (١/ ٣٧٣، تحت رقم ٣٧٥)، الجرح والتعديل (١/ ٩١ـ٩٢). وصحح إسناده محقق سنن الدارمي.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم (١٦٣١).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢/ ١٢٩).

يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا".

٩) إحسان الظن، وتوسيع الصدر والتقرب إلى الناس، فلا يتكبر عليهم، و لا يترفع عنهم، ويمكنهم بأن يسمع منهم، ويوطئ لهم كنفه.

يروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: "لا تظنن بكلمة خرجت من في امرئ مسلم سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا"(١).

ويروى عن محمد بن سيرين قال: "إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرا فإن لم تجد له عذرا فقل له عذر"(٢).

ويذكر عن جعفر بن محمد قال: "إذا بلغك عن أخيك الشيء تنكره فالتمس له عذرا واحدا إلى سبعين عذرا فإن أصبته وإلا قل لعل له عذرا لا أعرفه"(٣).

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ. قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ إِنَّ اللهَّ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ"(٤).

فبطر الحق : دفعه ورده وإنكاره.

وغمط الناس : انتقاصهم واحتقارهم والتعالي عليهم.

فإذا كان هذا الكبر في عموم الناس، فما بالك في العلماء.

---

(١) أخرجه المحاملي في أماليه ص٣٩٥، وعزاه في الدر المنثور (٧/ ٥٦٥) لأحمد في الزهد.

(٢) الجامع لشعب الإيمان (١٤/ ٤٤١، تحت رقم ٧٩٨٨).

(٣) الجامع لشعب الإيمان (١٤/ ٤٤٢).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم (٩١).

١٠) أن يمنع عن نفسه سوء الظن به، ويغلق مداخل الشيطان على نفسه والناس.

فإذا اجتهد بيّن اجتهاده، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ"(١). و لا يسمح في مجلسه بالغيبة لأحد، و يبتعد عن الانتقاص والنبز لأحد.

وإذا صدر منه شيء يحتاج إلى بيان وتوضيح، بينه ووضحه، ليمنع سوء الظن به، كما حصل مع الرسول ﷺ فيما جاء عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَالَتْ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ لِأَنْقَلِبَ فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنْ الْأَنْصَارِ فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَعَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ فَقَالَا سُبْحَانَ اللهَّ يَا رَسُولَ اللهَّ قَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا أَوْ قَالَ شَيْئًا" أخرجه الشيخان.

١١) أن لا يتكلم فيما لا يعنيه، و لا يتكلم بغير علم، فـ[الواجب على المسلم أن يحفظ لسانه عما لا ينبغي ، وألا يتكلم إلا عن بصيرة. ... ... أما أن يتكلم هكذا جزافاً ويحكم برأيه على غير دليل فهذا منكر عظيم لا يجوز](٢).

١٢) ومن واجبهم أن يعلموا طلابهم ومحبيهم ترك التعصب لهم، فلا عصبية و لا حجة في غير الدليل. وعلى هذا الأدب كان الأئمة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام باب إذا حكم الحاكم فاجتهد، حديث رقم (٦٨٠٥)، ومسلم في كتاب الأقضية باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث رقم (٣٢٤٠).

(٢) ما بين معقوفتين من كلام ابن باز رحمه الله في بعض فتاواه. بتصرف واختصار.

هذا أبو إبراهيم إسمعيل بن يحيى المزني رحمه الله، يختصر علم الشافعي، ويقول في أول اختصاره: "اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ومن معنى قوله لأقربه على من أراده مع إعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه، وبالله التوفيق"اهـ.

وهكذا درج أهل العلم، يعلمون أتباعهم ترك التعصب لأحد، إلا لما جاء عن الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ.

١٣) ومن واجب العالم أن يكون متعلما عاملاً، بعيداً عن الخصومة والمماراة .

عن أبي الدرداء قال: "لا تكون عالما حتى تكون متعلما ولا تكون بالعلم عالما حتى تكون به عاملا وكفى بك إثما أن لا تزال مخاصما وكفى بك إثما أن لا تزال ماريا وكفى بك كاذبا لا تزال محدثا ذات الله عزوجل"(١).

فإن هناك فرق بين تعظيم العالم وتوقيره ومعرفة حقه، وبين التعصب لقوله وإن خالف الدليل. فإن التعصب مذموم وهو من الجهل، وتوقير العالم واحترامه من فضل العلم مما دعى إليه الشرع. وترك التعصب لأقوال العلماء التي خالفها الدليل ليس من باب إهدار أقوال العلماء وضياع حقوقهم، بل هو من تجريد المتابعة للمعصوم صلى الله عليه وسلم، وهو من حفظ حقوق العلماء.

١٤) أن يدل الناس على ما ينفعهم ويقربهم إلى ربهم، ويجنبهم مسالك أهل البدع

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٣٠١)، و وكيع في الزهد (٢٢٠)، والخطيب في اقتضاء العلم العمل (١٦). وقال محقق سنن الدارمي: "إسناده حسن"اهـ.

والضلالات، فمن ذلك :

- أن لا يؤلب الناس على ولاة الأمر.
- أن يتوخى ولي الأمر بالنصيحة على انفراد في خاصة نفسه.
- أن يدل الناس ويرشدهم على ما ينفعهم.
- أن يزهد الناس في الدنيا.
- أن يرغبهم فيما عند الله فإنه خير وأبقى.
- أن يعلم الناس الواجب عليهم حين الفتن والاختلاف.
- أن يعلم الناس أن يؤدوا ما عليهم ويسألوا الله الذي لهم.

وقال عبدا لله بن عكيم الجهني : **لا أعين على دم خليفة** أبداً بعد عثمان!!

فقيل له : يا أَبا معبدٍ أَوَ أَعنت على دمِهِ؟

فيقول : **إِني أُعِدُّ ذِكْرَ مساويه عوناً على دمِهِ!**"[1].

عن زيد بن وهب عن عبد الله : عن النبي ﷺ قال: "إنكم سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها قال فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال: أدوا إليهم حقهم وسلوا الله الذي لكم" أخرجه الترمذي وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وقال الألباني: "صحيح".

هذا ما يسّر الله لي جمعه وكتابته، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات&

---

(١) صحيح، أخرجه ابن سعد في الطبقات (٦/ ١١٥) . فائدة : قال الحافظ في الفتح (١٣/ ١٣) : "قتل عثمان كان أشد أسبابه : الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم"انتهى .